الشيخ محمد الموسى
«صاحب ابن باز»

عرفت الشيخ محمد بن موسى الموسى رَحِمَهُ اللَّهُ منذ نعومة أظفاري، في أوَّلِ من عرفت من الرجال، فقد كان صاحب والدي الأول، ونديمه المفضل.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ لطيفاً يألفه الصغير قبل الكبير، فقد كان سهل الأخلاق، أريحي الطباع، لطيف المعاشرة، حسن الكلام، جيد الاستماع، تام الأدب؛ لا تخشى أن يسوءك بكلمة.

ولقد وُفِّق الشيخ محمد توفيقاً، فطلبه العلَّامة عبد العزيز بن باز؛ بتاريخ ١٢/٦/١٤٠٤هـ؛ ليعمل مديراً لمكتب بيته، فما أسعده من عمل، وما أهنأه من مقام، أن تكون قريباً من عالم العصر، تفيد من علمه وفضله، وتقبس من هديه ودَلِّه.

فتولى الشيخ محمد إدارة مكتب بيت الشيخ إلى أن توفي الشيخ في ٢٧/١/١٤٢٠هـ، فقام بالعمل خير قيام، ولازم الشيخ ملازمة تامة؛ فهو الذي يقود الشيخ إذا كان عنده؛ وهو أحد قراء الشيخ المقربين؛ حتى إنه ليذكِّر بمَعْنِ بن عيسى؛ أحد تلاميذ الإمام مالك، وأقربهم إليه، وألصقِهم به؛ فقد تحدث عنه ابن عبد البر فقال: «كان أشدَّ الناس ملازمة لمالك، وكان

مالكٌ يتكئ عليه في خروجه إلى المسجد؛ حتى قيل له: عُصَيَّةُ مالك»[(١)].

وكان لشدة تعلق الشيخ محمد بالشيخ وتأثره به يُشَبَّه به في أخلاقه وسماحته؛ فأخلاق الشيخ تسير في أخلاقه، وسماحته تجري في صفاته.

وإن من توفيق الله لعبده أن يسخِّره لنفع الناس، وقضاء حاجاتهم، وهكذا كان الشيخ محمد؛ فلم يكن مستنكفاً متعظِّماً؛ ولا مبتغياً حاجةَ نفسه فقط؛ بل كان متواضعاً جواداً، يشهد من خالطه أنه لا يتردد في نفع الناس، والشفاعة لهم عند الشيخ إذا كانوا مستحقين، فقد كان له حظوة عند الشيخ؛ فكان لشفاعته عنده مكانة، ولقوله اعتبار؛ فحصل من جرَّاء ذلك تفريجُ كربات، وانفكاكُ أزمات، ودعمٌ لجهات خيرية، وبناءٌ لمؤسسات وقفية.

وكان الشيخ محمد إذا تحدث عن الشيخ ابن باز لطيف النادرة، غزير المادة؛ فحديثه السحر الحلال، العذب الزلال؛ فهو ينثر من عبَق شيخه طيباً وريحاناً، عن اليمين والشمائل.

وقد كنت أتحيَّن مجيئه للزلفي؛ لأستمع أخبار الشيخ التي يرويها؛ فقد كان وفيّاً لا يقدم قَدْمةً إلى الزلفي إلا ويمر فيها على والدي.

---

(١) الانتقاء، لابن عبد البر (ص٦١).

وأذكر - مرة - أنه أتى إلى والدي عصر أحد أيام الاختبارات في الكلية، وكان عندي في الغد اختبارٌ في مادة التفسير، وكان المنهج طويلاً، فكنت في حيرة من أمري، هل أحضر عنده، أم أدرس مادتي، فعزمت أمري أن أحضر عنده، وتركت ما بيدي من مذكرات؛ فمجلسه لا يمكن تفويته؛ فهو يروي سيرة الشيخ كِفاحاً ليس بينه وبينه واسطة؛ فهي سالمةٌ من الانقطاع والإرسال.

وقد روى في سيرة العلامة ابن باز كتاباً يعد من أمتع الكتب، وأنفع السير التي كتبت عن الشيخ، وقد جمَّل الكتاب وحسَّنه صياغة شيخنا الأديب المفضال محمد بن إبراهيم الحمد، فاضرب بسهمك فيه يا طالب سيرة الشيخ، فهذا مغتسل بارد وشراب.

وكان هو الذي أشار على والدي أن يقدِّم الشيخ عبد العزيز لمؤلفاته؛ فكان من جرَّاء ذلك أن قدَّم الشيخ لأربعة من مؤلفات الوالد، وكان لأول كتاب يقدمه الشيخ قصة لطيفة؛ وهي أن والدي لما انتهى من تأليفه؛ وذلك قبل ٣٥ عاماً أعطاه أحد المشايخ الفضلاء ليقدم له، فقرأ منه هذا الشيخ ثلاثين صفحة، ثم اعتذر، وكتب عليه ملحوظاتٍ كثيرةً عامة وخاصة، ونصيحةً بألا يستعجل في خروج الكتاب، وكان أول مؤلف لوالدي.

يقول والدي: «أصابتني كلمات هذا الشيخ بتردد كبير،

أأتمم نشر الكتاب أم لا؟ وهل أنا أهلٌ للتأليف أو لا؟ فذكرت هذا الأمر لصاحبي الشيخ محمد الموسى، فاقترح علي أن أعطيه نسخة؛ حتى يقرأه على الشيخ، ويرى هل يصلح الكتاب للنشر أو لا؟ فأعطيته نسخة».

يقول والدي: «وفي ضحى أحد الأيام، وبينما أنا نائم إذ رأيت الشيخ محمد الموسى في المنام، وهو يقول لي: أبشر؛ انتهيت من قراءة الكتاب على الشيخ، وسيقدم له، فقمت من المنام أضحك».

يقول الوالد: «وبعد أيام إذ بالشيخ محمد الموسى يزورني في بيتي معه مقدمة الشيخ ابن باز للكتاب، وهو يقول: انتهينا منه ضحى اليوم الفلاني، فتعجبت؛ إذ هو نفس الوقت الذي رأيت فيه تلك الرؤيا». اهـ.

ولا أنسى أول مرة رأيت فيها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فقد كان الفضل له فيها بعد الله، وكنت وقتها في السادسة عشرة من عمري، وكانت وقت الحج، وكان الناس قد أطافوا بالشيخ يسألونه، فيجيبهم، فرآني الشيخ محمد، وعرض عليَّ السلام على الشيخ، فكدت أطير فرحاً، فلما انفضَّ الناس ناداني، وأدخلني على الشيخ في خيمته، فما راعني إلا الشيخ أمامي حاسر الرأس، فأخذ يسأل عن حالي ودراستي، ويسأل عن والدي، فكانت الكلمة تتعثر في فمي؛ هيبةً لهذا الإمام!

يأبى الجوابَ فما يُراجع هيبةً   والسائلون نواكس الأذقان

هَديُ التَّقيِّ، وعزُّ سلطان النُّهى   فهو العزيزُ وليس ذا سلطان[١]

لقد كان الشيخ عبد العزيز للشيخ محمد الموسى ملء السمع والبصر، يقبضه ما يقبضه، ويبسطه ما يبسطه؛ ولذا فقد كان فقْدُ الشيخ ابن باز على الشيخ محمد شديداً أليماً، فقد كان محزون الصدر، مشغول القلب، تذرف عينه دمعاً عند ذكره، وتخنقه العبرة أحياناً إذا حدث عنه.

توفي الشيخ محمد ليلة يوم الخميس ٣/ ١٠/ ١٤٣٢هـ؛ وذلك إثر حادث وقع للشيخ، وقد عمل الشيخ في يوم موته أعمالاً صالحة، فقد جاء إلى محافظة الزلفي مساء ثاني أيام العيد، فسلَّم على إخوته وأخواته، ثم قصد إلى ابن أخيه الشيخ محمد بن عبد الله الموسى، فصلى معه العشاء، وأعطاه مبلغاً من المال، وقال له: ضعه في الفقراء والمحاويج، ثم مضى وإياه إلى اجتماع عائلة الطوالة، وكان له موعد محاضرة معهم؛ فألقى محاضرة عن سيرة الشيخ ابن باز، فأفاض في الحديث عنه قرابة الساعة، ثم بعدها ذهب إلى اجتماع عائلته عائلةِ الموسى، ثم بعدها ودَّعهم، ومضى قافلاً إلى الرياض مع ابنيه، وفي الطريق حصل له الحادث رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) عزاه المبرد في الكامل (٢/ ٨٤٨) إلى ابن الخياط المديني، وعزاه ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢/ ٨٨) إلى الإمام عبد الله بن المبارك، وفي كِلَا المصدرين أن البيتين قيلا في الإمام مالك.

فهذه أعمال صالحة كانت قبيل موته، رحم موصولة، وصدقة مبذولة، وكلمة طيبة مسموعة.

اللَّهُمَّ ارحم الشيخ محمداً، وارفع درجته في المهديين، واغفر لنا وله أجمعين.